بصدد اللحظة الراهنة والشعارات

▪ الاطاحة الثورية بالشرعية الزائفة للنظام الكومبرادوري بإقامة سلطة وطنية ديمقراطية من خلال مؤتمر شعبي
▪ توحيد البلاد بقوة السلاح
▪ دحر التدخل العسكري الرجعي

لقد نشأ في لبنان ، بفعل احتدام وجذرية الصراع الدائر وضع ثوري جديد تماما ، لا يمكن مقارنته ، البتة ، بأية حقبة سياسية سابقة . وهو ليس امتدادا طبيعيا ومنطقيا ، (وليس تتويجا ايضا) ، لمستوى النضال الايديولوجي والسياسي الوطني والديمقراطي الذي كانت تقوده احزاب وتنظيمات البرجوازية الصغيرة بكافة تياراتها السياسية الراديكالية والوسطية واتجاهاتها الفكرية اليسارية والقومية .

▪▪ سمات الوضع الثوري الجديد

لقد نشأ هذا الوضع الثوري الجديد ، من الزاوية الاساسية ، ليس نتيجة هجوم سياسي منظم قامت به القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، او على الاقل توقعت حدوثه بكل ما يقتضيه ذلك من استعدادات سياسية وتعبوية وتنظيمية وعسكرية الخ .. بل كانت معظم هذه القوى الوطنية البرجوازية الصغيرة ترحب بأية مبادرة للوفاق الطبقي مع العدو من اجل انهاء او تجميد الصراع والعودة الى «الحوار» مع الفاشيين من اجل الخروج بحل وسط ومتوازن ! وكل ذلك في ظل غياب استراتيجية ثورية مما ادى بهذه القوى الى الوقوع في سياسة ردة الفعل ، سياسة الرقص على دفوف الاعداء والتمسك بالروح الدفاعية التي هي كما يقول انجلز : موت كل انتفاضة او ثورة مسلحة .

ونظرا لسياسة الرقص على دفوف الاعداء ، بات الانفضاض الجماهيري عن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية امرا وشيكا منذرا باحداق الكارثة الوطنية اذا لم يتم تلافي وتغيير هذه السياسة واستبدالها بسياسة ثورية منسجمة تكون على مستوى الوضع الثوري وتطور الاحداث في منعطف تاريخي إستثنائي وحاسم .

لقد نشأ هذا الوضع الثوري الجديد كرد فعل وطني شعبي على الهجوم الفاشي الرجعي الامبريالي الذي بادرت الى شنه التنظيمات الفاشية الموالية للنظام الكومبرادوري اللبناني ، لاسيما الموالية للشريحة الكومبرادورية المارونية المهيمنة على القسم الاساسي في السلطة والاقتصاد .

وكنتيجة لفشل الحلقات الاولى من الهجوم الفاشي الرجعي (الذي لايستهد ثوته من موازين القوى الداخلية ، بل من توطيد دعائم الامبريالية في المنطقة العربية من خلال السياسة التي تنهجها البرجوازية العربية الخائنة والدائرة في فلك التبعية للامبريالية ومخططاتها) ، نشأ هذا الوضع الثوري الجديد وكان من سماته البارزة تحطم اجهزة القمع ومؤسسات السلطة، وبالتالي ظهور استقطاب جماهيري واسع النطاق ضد وحشية الهجمة الفاشية .

ومع ذلك بقيت القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية غير متخلية وبدون تردد عن الشرعية الزائفة للنظام العميل المنهار ، متذرعة في ذلك بحجج شتى عن الصعوبات الفعلية التي تواجه مثل هذه العملية الثورية (مثل عدم القدرة على الحسم العسكري بعد تدخل النظام السوري ، وعدم توفر الامكانيات الخ ..) محولة مسألة حسم الموقف السياسي الثوري الصلب الى مجموعة من الحقائق والوقائع الجزئية المتناثرة الراهنة ، مما ادى ويؤدي الى منطق سياسي دكاكيني ضيق الافق . فمثل هذا المنطق الدكاكيني يفتتت الامكانيات «المحدودة» المتوافرة نفسها ويقود الى اضعاف الروح المعنوية والالتفاف الجماهيري ، كما انه يفقد الموقف السياسي والشعار الثوري كل محتواه النضالي . اذ انه لا يمكن الاعتماد دائما ، على الوضع العفوي الثوري الراهن ، بل ينبغي النضال للحفاظ على هذا الوضع نفسه وتطويره وتنظيمه . وهذا لا يكون الا في مواجهة المهام الثورية للمرحلة السياسية ككل. فالثوريون المنسجمون لا يقيسون امكانياتهم على ضوء ما يملكونه « هم » من امكانيات في لحظة سياسية محددة، ، بل بمدى ما يستثيره ويستنهضه طرحهم الثوري المنسجم من امكانيات وقوى جماهيرية ثورية هائلة لها مصلحة في تغيير الوضع القائم .

فاذا كان المثل العامي يقول : « على قد بساطك مد رجليك » ، فانه ينبغي القول في السياسة ان يكون الحساب والتدقيق غير مقتصر على الامكانيات الذاتية وحدها ، بل بعلاقة هذه الامكانيات الذاتية بما تمليه الضرورة التاريخية والمرحلة السياسية من مهام وشعارات ثورية قادرة على ان تمس المصلحة الحقيقية للجماهير وجذبها الى حلبة الصراع ، ولا سيما حين يختل أو يبدأ في الاختلال ميزان القوى لصالح القوى الثورية ويكون هناك امكانية موضوعية للانتصار . فلو كان ، مثلا ، الحزب البلشفي في روسيا عام ١٩١٧ يقيس شعاراته على ضوء الامكانيات الذاتية التي يملكها الحزب وحده وانطلاقا من لحظة استاتيكية (جامدة) ، وبدون علاقة ذلك بالمهام الثورية المرحلة حيث تجد اوسع الجماهير مصلحتها الطبقية الحقيقية في انجاز هذه المهام ، لما كان هذا الحزب تمكن من تطوير امكانياته الذاتية نفسها واستطاع الاستيلاء على السلطة السياسية في روسيا .

وهذا المثال ، ليس بهدف المقارنة الشكلية ، بل لتوضيح الفكرة الاساسية السابقة بصدد الاهمية الفائقة للشعارات الثورية التي تستجيب لمهام المرحلة السياسية .

▪▪ شرط تحول الوضع الثوري الى ثورة

ان تحول اي وضع ثوري الى ثورة حقيقية مسألة مرهونة بنوع السياسة التي تنهجها القوى الثورية ومدى استجابتها النضالية لمهام المرحلة السياسية المحددة . والانتصار او الهزيمة يتقرران ، ايضا ، على ضوء توفر استراتيجية ثورية او عدم توفرها .

ان ارثا سياسيا وايديولوجيا ثقيلا يرزح تحت وطأته النضال الوطني والديمقراطي في لبنان ، ارثا من الاوهام والتشوش الفكري والايديولوجي وامكانية التطور الديمقراطي ضمن نطاق سلمي ، والمواقف الانتظارية التأملية من مسألة التغيير الثوري بالاضافة الى اوهام البرجوازية الصغيرة في الوفاق الطبقي وسياسة تردديونيونية اصلاحية لا تحدد موقفا سياسيا ثوريا من مسألة السلطة السياسية .

هذا الارث الثقيل ينبغي كنسه . وقد كنس تطور الصراع نفسه في لبنان، بكل قوة وسطوع الكثير من هذا الارث النظري والسياسي واحدث حتى تغييرا ما في الكتل والتيارات الاكثر تقدما في صفوف الاحزاب الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

▪▪ الاوهام التي تحطمت

فبالنسبة للاحزاب والتيارات البرجوازية الصغيرة القومية في لبنان فقد حطم تطور الصراع واحتدامه مواقفها الانتظارية التأملية من مسألة السلطة السياسية في لبنان . فهي كانت تنتظر من البرجوازيات العربية الصاعدة في مصر وسوريا والعراق انجاز الوحدة العربية بحيث يصبح انضمام لبنان مسألة تحصيل حاصل . وهذا التصور المعكوس للوحدة العربية والمشبع بتأثير واوهام الفكر البرجوازي القومي ، يتناسى ان الوحدة العربية لا يمكن انجازها الا من خلال حسم مسألة السلطة السياسية في كل بلد عربي ولصالح القوى الثورية والاشتراكية . والواقع ان الكثير من اوهام هذه التنظيمات البرجوازية الصغيرة القومية قد بدأ ينهار قبل تطور الصراع في لبنان ، نظرا للسياسة الخائنة التي اخذت تنهجها البرجوازيات العربية تعبيرا عن مصالحها السياسية الطبقية في مرحلة هبوطها وتفسخها وانتهاء دورها الوطني. وقد اخذت هذه التنظيمات تنفض عن السير في فلك البرجوازيات العربية وبدأت تياراتها الاكثر تقدما تتأثر بالافكار الثورية الماركسية ولو بصورة انتقائية ومشوشة . الا ان احتدام الصراع في لبنان سيكنس اكثر ما بقي معشعشا في اذهان هذه التنظيمات من بقايا الفكر القومي البرجوازي . فالمسألة ليست صغر او كبر حجم هذا البلد العربي او ذاك ومدى توفر الامكانيات والثروات المادية التي يملكها ، بل بالدور السياسي الثوري الذي يمكن ان تلعبه جماهير هذا البلد في مواجهة الامبريالية والرجعية واسرائيل ، حيث يلعب اليوم الشعبان اللبناني والفلسطيني على ارض لبنان دورا تاريخيا ثوريا مجيدا ستكون له انعكاساته على صعيد المنطقة ككل .

لقد سقطت اسطورة الكيان ـ النظام ، هذه الاسطورة القومية التأملية البلهاء ، والتي لا تنظر الى قضية الثورة من منطلق اممي ثوري ، بل من منطق قومي غير نضالي . فكوبا واليمن الديمقراطي الجنوبي وانغولا كيف كان بامكانهم ان يصمدوا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا بعد استيلاء القوى الثورية على السلطة، لولا الدعم الفعال الذي يقوم به المعسكر الاشتراكي؟ ان هؤلاء القوميين البرجوازيين الصغار ، الذين حاولوا مؤخرا تطعيم افكارهم «العميقة» بألفاظ ومفاهيم انتقائية ماركسية، انما يحولون بمواقفهم الانتظارية الاحباطية هذه دون تطور النضال الثوري «القومي» المشترك للشعوب العربية !

اما الاحزاب والتنظيمات اليسارية الاخرى ، فهي منذ البداية لم تطرح في استراتيجيتها مسألة الاستيلاء على السلطة السياسية (ولو كشعار تحريضي الى ان يحين الوقت المناسب ويصبح شعارا اجرائيا) . علما ان قضية السلطة هي القضية الجذرية امام اي حزب ثوري يريد القيام بالثورة . وبدون وضع هذه المسألة في صلب الاستراتيجية ، وبالتالي الانطلاق منها في التوجه النضالي الايديولوجي والدعاوي والتنظيمي والعسكري ، فان الحزب الثوري يتحول الى حزب اصلاحي ، الى حزب برجوازي صغير يخشى تطور الصراع الطبقي الى نهايته المحتومة ، فينكب يزرع الاوهام للخروج بحل وسط ، مؤجلا باستمرار مسألة السلطة السياسية الى ان يحين الوقت المناسب ... وبحين الوقت المناسب فيتم التذرع بضعف الامكانيات الذاتية وكثرة الصعوبات والعوائق ، وهكذا يتم باستمرار تأجيل هذه المسألة المركزية ، لانها لم تكن مركزية في صلب الاستراتيجية نفسها .

واليوم ، بعد احتدام الصراع وجذريته والتي باتت تستبعد ، في النهاية، قضية انهاء الصراع في نطاق سلمي او حل وسط ، فان الضرورة الثورية تقتضي من كافة القوى والكتل الثورية المنسجمة النضال الحازم الذي لا يلين من اجل الدفع في اتجاه الاستجابة الثورية لمتطلبات ومهام المرحلة وطرح الشعارات الثورية الملائمة والتي يؤدي انجازها الى انتصار القوى الوطنية واقامة نظام وطني ديمقراطي في لبنان .

لقد استهدفت الهجمة الفاشية الرجعية الامبريالية ، بالفعل ، ضرب وتصفية النضال الوطني والديمقراطي ، الذي تقوم به مختلف الاحزاب والتنظيمات الوطنية اللبنانية والفلسطينية . ومما لا شك فيه ان جميع هذه الاحزاب والتنظيمات الوطنية لها مصلحة موضوعية في الانتصار . ولكن الانتصار مسألة مرهونة بنوع الطرح السياسي والشعارات الثورية التي تستجيب لمهام المرحلة السياسية المحددة .

لذا ، ان يكون للاحزاب والتنظيمات الوطنية مصلحة موضوعية في الانتصار، وبين ان تعي عمليا هذه المصلحة (بحكم طبيعتها الطبقية البرجوازية الصغيرة المترددة والاصلاحية) بون شاسع لا يقوم بقطع مسافته وباستقامته الا نضال حازم من الشيوعيين والوطنيين الثوريين وسائر الكتل والتيارات الثورية في صفوف هذه التنظيمات المتأثرة والمتبنية لخط استراتيجي ثوري . وهذا النضال ليس نضالا دعاويا « وعظيا » ، بل هو نضال سياسي وايديولوجي وجماهيري وعسكري لا بد من حفر مجراه بقوة وبدون ابطاء في الواقع السياسي الراهن .

وهنا ، لا يجوز التنصل بحجة انه من المستحيل تغيير عقلية التنظيمات القائمة وانها هي المسؤولة وحدها عما يدور . ان احداق الكارثة الوطنية مسألة يتحمل وزرها ومسؤوليتها ، ايضا ، كل شيوعي وثوري. ديمقراطي . والقضية الاساسية ليست قضية من يتحمل مسؤولية اكبر او اقل ، بل ضرورة النضال بمختلف وارقى السبل والاشكال للحيلولة دون الهزيمة .

▪▪ اثر الخلل الاساسي في استراتيجية المقاومة الفلسطينية

اذا كنا قد تعرضنا بشيء من الاسهاب للخلل المركزي الذي عانت وتعاني منه معظم الاحزاب والتنظيمات اللبنانية : تغيب مسألة السلطة السياسية ، فان الخلل الاساسي ، بالمقابل ، في استراتيجية المقاومة الفلسطينية هو ذلك التصور القائل بأن تحرير فلسطين مسألة معزولة عن ضرورة وجود نظام ثوري